تذكير أهل الإسلام بفضل شهر رجب الحرام وما فيه من أحداث عِظام

2024-01-19

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَيَّأَ لِعِبَادِهِ مَوَاسِمَ الطَّاعَاتِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الْإِكْثَارِ فِيهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، فسبحانه من إله جعل الشهور في كتابه إِثْنَيْ عشَرَ شهرا في العِدّة. منها أربعة حُرُم. أوّلها شهر الله الحرام ذو القِعدة. وثلاثة بَعده. ذو الحجة ومحرّم ورجب الذي انفرد عنها وحده. ذلك الدين القيِّم. فمن لم يَظلِم فيهنّ نفسه فقد بلغ رُشده. ومن أطاع ربَّه فيها فقد أنجح قصده.

بَيِّضْ صَحيفَتَكَ السَّوْدَاءَ فِي رَجَبِ * بِصَالِحِ الْعَمَلِ الْمُنْجِي مِنَ اللَّهَبِ

شَهْرٌ حَرَامٌ أَتَى مِنْ أَشْهُرٍ حُرُمٍ * إِذَا دَعَا اللهَ دَاعٍ فِيهِ لَمْ يَخِبِ

طُوبَى لِعَبْدٍ زَكَى فِيهِ لَهُ عَمَلٌ * فَكَفَّ فِيهِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالرِّيَبِ

وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جعلَ الأيامَ في الحياةِ فرصةً للإستعدادِ للقاه. والتزوُّد بتقواه، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وصفيّه من خلقه وخليله. الأسوة الحسنة للمقرّبين. والقدوة الطيّبة للصالحين. صاحب لواء الشفاعة الأعظم للخلائق أجمعين. إختاره الله تعالى مثالاً لأهل طاعته، ونموذجاً قويماً لأهل مودّته، وأمرنا أن نتأسّى به في هديه وسَيْره وسيرته. وقال لنا في سورة الأحزاب: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)).

هذا الحبيبُ رسولُ الله عُدَّتُنا * هذا رسولُ إلهِ العرْشِ مولانَا

صلّوا عليه عبادَ الله واجتهِدوا * فإنّ ذاك به الرّحمانُ أَوْصانَا

وعَظِّموا سيِّدَ الكوْنَيْن كلُّكُمُ * ورَدِّدوا ذِكْرَه سرًّا وإعلانَا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. ذخيرة المحتاجين الواقفين بباب كرم الله. وعلى آله ذوي السيادة والجاه. وصحابته العديمين في المحبّة

النظائر والأشباه. صلاة تجعلنا بها من المهتَدين بهداه. المغترِفين من بحر كرمه ونَداه. الساعين في تحصيل طاعته المقبولة ونيل رضاه. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إِنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، أَنْ أَكْرَمَهُمْ بِالْكَثِيرِ مِنْ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ وَتَنَزُّلِ الرَّحَمَاتِ، لِيَغْتَنِمُوهَا فِيمَا يَنْفَعُهُمْ قَبْلَ الْفَوَاتِ، وَالْعَاقِلُ لَا يَقْبَلُ أَنْ تَمُرَّ عَلَيْهِ هَذِهِ السَّاعَاتُ الْمُبَارَكَاتُ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَمِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ الْمَوَاسِمِ شَهْرُ رَجَبٍ الْفَرْدُ الْحَرَامُ، الَّذِي نَعِيشُ أَوَائِلَ أَيَّامِهِ الْعِظَامِ، أَهَلَّهُ الله عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ، وَالسَّلاَمَةِ وَالإِسْلاَمِ. وَالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّ ربّنا وَيَرْضَى، أيّها المسلمون. وشَهْرُ رَجَبٍ هُوَ أَحَدُ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَهِيَ: ذُو الْقِعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ، وَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعْظِيمَهَا. فَقَالَ سُبْحَانَهُ في سورة التوبة: ((إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ)). ورَوَى الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ((عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ. قال: فِي كُلِّهِنَّ. ثُمَّ خَصَّ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَجَعَلَهُنَّ حُرُمًا وَعَظَّمَ حُرُمَاتِهِنَّ وَجَعَلَ الذَّنْبَ فِيهِنَّ أَعْظَمَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْأَجْرَ أَعْظَمَ)). ورَوَى الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ كذلك: ((عَنْ قَتَادَةَ في قوله تعالى: فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ. قال: فَإِنَّ الظُّلْمَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا مِنَ الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَظِيمًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِهِ مَا شَاءَ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى صَفَايَا مِنْ خَلْقِهِ اصْطَفَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ رُسُلًا، وَاصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ ذِكْرَهُ، وَاصْطَفَى مِنَ الْأَرْضِ الْمَسَاجِدَ، وَاصْطَفَى مِنَ الشُّهُورِ رَمَضَانَ وَالْأَشْهُرَ الْحُرُمَ، وَاصْطَفَى مِنَ الْأَيَّامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَاصْطَفَى مِنَ اللَّيَالِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَعَظِّمُوا مَا عَظَّمَ اللَّهُ، فَإِنَّمَا تُعَظَّمُ الْأُمُورُ بِمَا عَظَّمَهَا اللَّهُ عِنْدَ أَهْلِ الْفَهْمِ وَأَهْلِ الْعَقْلِ)). والأشهر الحُرُم وردت في الآية مبهَمة. ولم تُحدَّد أسماؤها. فجاءت السُّنّة النبويّة بذِكْرها وتعيينها. فقد رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ

أَبِي بَكْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ فِي خُطْبَةِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ: ((إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اِسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، اَلسَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقِعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، ورَجَبُ مُضَرَ الَّذي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)). وسمّي رجب مضر. لأنّ مضر كانت لا تغيّره. بل توقعه في وقته. بخلاف باقي العرب. الذين كانوا يتلاعبون في الشهور. وهو النسيء المذكور في قوله تعالى في سورة التوبة: ((إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِه الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ الله)). أيّها المسلمون. ورجب هو الشهر الذي إذا هلَّ هلالُه قال نبيّنا صلى الله عليه وسلم في دُعائه كما رواه الإمام أحمد والطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((اللهم بارِك لنا في رجب وشعبان وبلِّغنا رمضان)). زاد أبو نعيم في الحِلية: ((وأعنّا على الصيام والقيام وغضّ البصر وحِفْظ اللسان. ولا تجعل حظّنا منه الجوع والسهر)). وشهر رجب مفتاح أشهر الخير والبركة. قال أبو بكر الورّاق البلخي رحمه الله: شهر رجب شهر الزرع. وشعبان شهر السقي للزرع. وشهر رمضان شهر حصاد الزرع. ويُرْوَى أنّ الله تعالى يقول في كل ليلة من رجب: ((رجبٌ شهري. والعبد عبدي. والرحمة رحمتي. والفضل بيدي. وأنا غافر لمَن استغفرني في هذا الشهر. ومعطٍ لمَن سألني)). ورُوي عن وهب بن منبّه رضي الله عنه قال: قرأت في بعض الكُتُب السابقة. أنّ مَن استغفر الله تعالى في رجب بالغداة والعشيّ سبعين مرّة. حرّم الله جسده على النار. قال بعض أهل الإشارة: رجب ثلاثة أحرف. (راء وجيم وباء). فالراء من رحمة الله. والجيم جُرْم العبد وجنايته. والباء برّ الله. كأنّه يقول: يا عبدي جعلتُ جُرْمك وجنايتك بين بِرّي ورحمتي فلا يبقى لك جُرْم ولا جناية بحرمة شهر رجب. قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وجدير بمَن سوّد صحيفته بالذنوب أن يبيّضها بالتوبة في هذا الشهر. وبمَن ضيّع عمره في البطالة أن يغتنم فيه ما بقي من العمر. وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله

عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنّ في الجنّة نهرا يسمّى رجبا باسم شهركم هذا. ماؤه أحلى من العسل. وأشدّ بياضا من اللبن. فمَنْ صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر)). وروى البيهقي في شعب الإيمان عن أبي قلابة رضى الله عنه قال: في الجنّة قصرٌ لصوّام رجب. وقال البيهقي: هذا أصحّ ما ورد في صوم رجب. وأبو قلابة من كبار التابعين ولا يقول مثله إلا عن بلاغ عمّن فوقه ممّن سمع عن النبيّ صلى الله عليه وسلم. ورُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((أيّام رجب مكتوبة على باب السماء فإذا صام الرجل منه يوما واتّقى اللهَ فيه نطق الباب ونطق اليوم يقولان يا رب اغفر له)). وفي الجامع الصغير عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((رَجَب شَهْرُ اللهِ وشعبانُ شهرِي ورَمَضانُ شهرُ أُمَّتِي)). أي لأنّ الله خصّ شهر رجب بالمغفرة. وشعبان بالشفاعة. ورمضان بتضعيف الحسنات. وقيل رجب شهر التوبة. وشعبان شهر المحبّة. ورمضان شهر القربة. وروى الديلمي عن سيّدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أكثِروا من الإستغفار في شهر رجب فإنَّ للهِ في كل ساعةٍ منه عُتَقَاء من النار)). أيّها المسلمون. نَعم. عصينا كثيرا. وغفِلنا كثيرا. وأخطأنا كثيرا. فما أحوجنا جميعاً في هذا الشهر الكريم إلى مغفرة الله، نستغفره بقلوب منكسرة. وأجسام خاشعة. ورءوس خاضعة، حتى يَتقبّل الله منّا أجمعين. ويُصلح شأننا وينقلنا إلى أحسن حال. هذه ليالي رجب فُتحت لنا. فلنستغفر الله سبحانه وتعالى. إن واجه ذنبٌ منّا شأنًا فلنعلم أنّ اسمه الغافر. وإن جاوزنا فهو الغفور. وإن أسرفنا فهو الغفّار. سبحانه وتعالى. ومَن يَغفر الذنوب إلا الله. ومَن يستر العيوب إلا الله. أيّها المسلمون. إنّ شهر رجب من أيّام الله. التي أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يذكِّر الأمّة بها. فقال سبحانه في سورة إبراهيم: ((وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)). فِي شَهْرِ رجب نَتَذَكَّرُ أعظم نعمة. أنعمَ اللهُ بِهَا على هذه

الأمّة. هِيَ الحَمْلُ بالنور المكنون. والسر المصون. والجوهر المخزون. سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم. روى الخطيب البغدادي عن سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه قال: لمّا أراد الله تعالى خَلْق سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم في بطن أمّه آمنة ليلة رجب. وكانت ليلة جمعة. أمر الله تعالى تلك الليلة رضوان خازن الجنان. بفتح الفردوس وينادي مناد في السموات والأرض: ألا إنّ النّور المخزون المكنون الذي يكوَّن منه النبيّ الهادي في هذه الليلة يستقرّ في بطن أمّه. الذي فيه يتمّ خَلْقُه. ويخرج إلى الناس بشيرا ونذيرا. وفي آخر هذا الشهر المبارك، الذي لا يزال خيره يُتَدارك. وقع التكريم الرباني. للنبي العدناني. سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم بكرامة الإسرء والمعراج. والتي هي أكرم الكرامات. وأكبر الدالالات الدالّة على تخصيصه صلى الله عليه وسلم بغاية القرب ونهاية المقامات. وعلوّ القدر وأرفع الدراجات. والسيادة العظمى على جميع الخلق في سائر الحالات. فصلِّ اللّهمّ عليه وعلى آله صلاةً تُطيِّب بها ألسنتنا بذِكْره المستطاب. وتُصحِّح لنا بها الإنتماء إليه والإنتساب. وتدخلنا بها تحت ظلّه الظليل وجاهه العليّ الجناب. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. أيّها المسلمون. وفي شهر رجب وقعت العديد من الأحداث التاريخية الإسلامية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن الأحداث التي تُضمّ إلى شهر رجب، هي تحرير المسجد الأقصى من أيدي الصليبيّين على يد صلاح الدين الأيوبي، رحمه الله. ففي يوم الجمعة 27 من شهر رجب عام 583هـ، دخل جيش المسلمين القدس الشريف والمسجد الأقصى بقيادة صلاح الدين الأيوبي. رحمه الله. بعد 91 عاما من استيلاء الصليبيّين عليها. فما أحوجنا اليوم والأقصى المبارك أسير. في أيدي الصهاينة الغاصبين والمحتلّين. أن نتفاءل بهذا الشهر الحرام. بعودة المسجد الأقصى المبارك إلى حياض الإسلام والمسلمين. فعلاقتنا بالمسجد الأقصى علاقة عقدية. يتوحّد جميع المسلمين عليها. وهي قضية عادلة. يوافقنا عليها جميع الشرفاء في العالم. أيّها

المسلمون. هذه ليالي رجب فُتحت لنا. فلنستغفر الله سبحانه وتعالى. إن واجه ذنبٌ منّا شأنًا فلنعلم أنّ اسمه الغافر. وإن جاوزنا فهو الغفور. وإن أسرفنا فهو الغفّار. سبحانه وتعالى. ومَن يَغفر الذنوب إلا الله. ومَن يستر العيوب إلا الله. فاتّقوا الله عباد الله. وعظّموا ما عظّم الله من حرمة هذا الشهر. واستحيوا منه سبحانه في السر والجهر. واجتنبوا من المحرّمات ما نهاكم عنه. وأتوا ممّا أمركم بالمستطاع منه. وبادروا بالإقلاع والتوبة ممّا اقترفتم. فإنّكم لا محالة بين يديه مسؤولون عمّا أسلفتم. فكم من تائب في هذه الأيام قُوبِل بمغفرة ذنوبه. وكم من طالب حاجة ظَفَر بكل مطلوبه. وتعرّضوا رحمكم الله للنفحات القدسية. واغتنموا في هذه الأوقات المباركة المواهب الإلهية. اللهم بارِك لنا في رجب وشعبان وبلّغنا رمضان، واجعلنا مِن خواصِّ أهله. وأعِنَّا على الصِّيام والقيام. واحفَظنا مِن الآثام. ومِن موجباتِ الندامة في الدنيا والبرزخِ ويومَ القيام، حتى تجمعَنا في دارِ الكرامةِ دارِ السلام. مِن غيرِ سابقةِ عذابٍ ولا عتابٍ. ولا فتنةٍ ولا حسابٍ، يا ربَّ العالمين. نستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم ونتوب إليه مِن جميع الذنوب والمعاصي والآثام، التي بيننا وبين الله، وبيننا وبين عباد الله. ومن جميع ما يعلمه الله، لنا ولوالدينا وآبائنا وأمّهاتنا وذوي الحقوق علينا. وللمؤمنين والمؤمنات. والمسلمين والمسلمات، اللهمَّ يَا مَنْ يُجيبُ المضطرَّ إذَا دعاهُ ويكشفُ السوءَ. اللَّهمَّ اسْقِ عِبادَك وبَهِيمَتَك. وانشُرْ رحْمتَك. وأَحْيِ بلدَك الميِّت. اللهمّ اسقِنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين. لا إله إلا أنتَ سبحانك إنّا كنّا من الظالمين، رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ